Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 4, Issue 2 (2025) • P: 11 - 1
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

The art of analogy in the poetry of Aws bin Hajarh

Dr. Said Obaid Abdullah Al-Wahaibi
Sultanate of Oman

Received: 25/02/2025
Revised: 19/03/2025
Accepted: 03/04/2025
Published: 15/06/2025

* Corresponding author:
saidobaid9@gmail.com

Citation: Al-Wahaibi, S. O. (2025). The art of analogy in the poetry of Aws bin Hajarh. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 4*(2), 1 – 11. https://doi.org/10.26389/AJSRP.B270225

2025 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• Open Access

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: Simile represents one of the most prominent artistic devices in classical Arabic poetry, playing a vital role in illustrating meanings and shaping vivid imagery in a stylistically impactful manner. This study focuses on the poetry of Aws ibn Ḥajar, a renowned pre-Islamic (Jāhilī) poet known for his eloquent use of similes that reflect the spirit of his environment and era. Despite his literary significance, detailed studies on simile in his poetry remain limited. The primary aim of this research is to explore the use of simile in Aws ibn Ḥajar's poetry by identifying the types of similes he employed, their diversity, and their function in constructing poetic imagery. It further examines the aesthetic and rhetorical features of simile in his work and how his cultural and environmental context influenced these expressions. The study adopts a descriptive-analytical approach, supported by inductive analysis of selected poetic texts that include similes. Through close reading and literary examination, the research uncovers the artistic dimensions of simile in Aws ibn Ḥajar's poetry. The findings reveal that simile constitutes a fundamental element in his poetic structure. His use of both direct and complex similes demonstrates high rhetorical proficiency and contributes significantly to the richness and expressiveness of his verse. The study recommends further scholarly attention to simile and figurative imagery in the poetry of other Jāhilī poets to better understand the artistic depth of early Arabic literature.

Keywords: simile, composite images, poet Aws ibn Hajar.

فن التشبيه في شعرأوس بن حجر

الدكتور/ سعيد بن عبيد بن عبد الله الوهيبي
سلطنة عُمان

المستخلص: التشبيه من أبرز أدوات التصوير الفني في الشعر العربي القديم، إذ يُسهم في إبراز المعاني وتجسيد الصور بأسلوب جمالي مؤثر. ويُعدّ الشاعر أوس بن حجر من الشعراء البارزين في توظيف التشبيه، حيث استطاع أن يصوغ صوره الشعرية بأسلوب يعكس بيئته وعصره، مما يجعل دراسة هذا الجانب في شعره ذات أهمية كبيرة. تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على البنية الفنية، لأسلوب التشبيه في شعر أوس بن حجر، بوصفه أحد أعلام الشعر الجاهلي. وقد وقع الاختيار على هذا الموضوع؛ نظرا لقلة الدراسات التي تناولت التشبيه في شعره مفصل، إضافةً إلى الرغبة في استكشاف كيفية توظيف الصور التشبيهية في التعبير عن المضامين المختلفة، سواء كانت وصفية أم وجدانية أم حماسية. يهدف هذا البحث إلى تحليل فن التشبيه في شعر أوس بن حجر، وذلك من خلال استكشاف أنواع التشبيهات التي استخدمها الشاعر، ومدى تنوعها، وتحديد وظائفها، ودوره في بناء الصورة الشعرية، والفنية للتشبيه في شعره. وفهم مدى تأثره ببيئته وعصره في تشكيل صوره،

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم جمع النصوص الشعرية التي تتضمن التشبيه، وتحليلها للكشف عن خصائصها الفنية والجمالية. يتم اختيارها بالمنهج الاستقرائي؛ لاستخلاص أهم ملامح التشبيه عند أوس بن حجر، من خلال دراسة عدد من النماذج الشعرية، وتحليلها وفق معايير التحليل الأدبي. وأظهر البحث أن التشبيه عنصرا أساسيا في شعر أوس بن حجر، حيث استخدمه لإضفاء الجمال والقوة على شعره. وتنوعت أساليب الشاعر في توظيف التشبيه بين المباشر والمركب، مما يدل على براعته البلاغية. ويوصي البحث بمزيد من الدراسات حول صور التشبيه في شعر الجاهليين.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، الصور المركبة، الشاعر أوس بن حجر.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين له الى يوم الدين.

يُعدّ أوس بن حجر من أبرز شعراء العصر الجاهلي، الذين تميزوا بالقدرة الفائقة على التصوير البياني، والتعبير البلاغي، إذ كان التشبيه من أكثر الأدوات الفنية التي اعتمدها في إبداع صوره الشعرية.

عُرف أوس بجزالة ألفاظه وثراء خياله، فجاءت تشبيهاته نابضة بالحياة، مستمدة من بيئته الصحراوية التي انعكست بوضوح في وصفه للأشخاص والطبيعة والأحداث.

هناك عدة دراسات سابقة تناولت التشبيه في شعر أوس بن حجر، من أبرزها:

1- "صنعة التشبيه بين أوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى: دراسة موازنة" وهذه رسالة ماجستير أعدها يوسف طفيف مبارك الدعدي عام 2007 ، تناولت مقارنة بين استخدامات التشبيه لدى الشاعرين أوس وزهير، مع التركيز على الجوانب البلاغية والفنية في أشعارهما.

2- " فائية أوس بن حجر: دراسة أسلوبية" بحث قدمه حسين يوسف الخطاب وفاطمة تجور عام 2020، ركز على دراسة الظواهر الأسلوبية في قصيدة " الفائية" لأوس بن حجر، بما في ذلك الصور االتشبيهية والاستعارية، وتأثيرها في إضفاء السمة الشعرية على الأبيات.

3- " جماليات الصورة الحسية في شعر أوس بن حجر" دراسة أجرته زينب عبد الحسبن حداد، نشرت في مجلة أبحاث ميسان، تناولت الصور الحسية في شعر أوس بن حجر بما في ذلك الصور التشبيهية والاستعارية، ودورها في إثراء التجربة الشعرية وإبراز الرؤى والأفكار والمشاعر بأسلوب فني جميل.

تمهيد:

يُعدّ التشبيه أحد أبرز الأساليب البيانية التي زخرت بها القصيدة العربية منذ الجاهلية، حيث شكّل أداة تعبيرية قوية تُسهم في إبراز المعاني وتقريب الصور الذهنية على المتلقي. وقد تميز الشعراء الجاهليون بإتقان هذا الأسلوب، فوظّفوه لإضفاء الجمالية والتأثير على أشعارهم، وكان من بينهم أوس بن حجر، أحد فحول شعراء الجاهلية المعروفين بجزالة ألفاظهم ودقة تصويرهم.

التشبيه:

التشبيه " أبرز أنواع التصوير اطرادا في كلام البشر عامة، المسموع منه والمقروء، فهو يوسع المعارف من حيث كونه يسهل على الذاكرة عملها، فيغنها عن اختراع جميع الخصائص المتعلقة بكل شيء على حدة، بما يقوم عليه من اختيار الوجوه الدالة التي يمكن بفضل القليل منها استحضار الكثير" (الحسيني: 2004)، ويشكل التشبيه مجالا واسعا تتجلى فيه هذه الوحدة الشعورية من حيث تشابه العبارات، أو عناصر التشبيه، أو المعاني إلى حدّ بعيد سواء أكان مشبها، أم مشبها به في الصورة. وستقوم الدراسة بتفصيل القول في التشبيه عند أوس ابن حجر، ومعالجة وبيان أثر التشبيه على الصورة عنده.

والتشبيه في غالب أشعار أوس بن حجر يدل على دقته، وسعة خياله في إدراك العلاقات بين الأشياء، فكشف عن العلاقات الخفية وبينها، وجمع بين المتباعد منها، ولذلك جاءت تشبيهاته وليدة عاطفته وخياله، وعبر عما يجول في نفسه، وما يتطلع إلى إبرازه من معنى.

ويعُد أوس بن حجر، من أبرز أولئك الشعراء الذين كانت لهم ملامح فنية رائعة، ولمسات بيانية ساحرة، جسّد بها أفكاره ومعانيه النابعة من أعماق نفسه، مما أحاط به من صحرائه التي يعيش فيها، ومن أهم تلك المعاني التي طرقها وحاول تصويرها ورسم معالمها للمتلقي، الناقة و ما تحمل من صفات، والثور والوحشي، وحمار الوحش، والبقرة الوحشية، والظليم، والنعامة، والفرس، وغيرها من الحيوانات التي كانت تعيش في البيئة المحيطة بالشاعر. ومن صوره التي فخر بها على أنداده، أدوات الحرب والسلاح، فوصفها وصفا دقيقا، وطرق من المعاني ما تعد بمثابة الأبواب التي يفتتح بها الشاعر الجاهلي معاني التشبيه في مجمل صوره، ومن أهم مصادر التشبيه التي ظهرت في ديوان أوس من حجر:

صورة الطلل والديار:

لقد كان ذُكر الطلل، والديار، والصحراء في القصيدة الجاهلية سنة؛ نهج شعراء الجاهلية السير عليها، وكانت المقدمة الطللية جزءا أساسيا من بنية القصيدة العربية القديمة، فقد أشار ابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء" إلى أن " مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق؛ ليجعل ذلك سببا لذكره لها والظاعنين عنها " (ابن قتيبة: 1982) وهذه الأطلال تقوم بوظيفة الملهم للشعراء، وتستثير شجون الشعراء وذكرياتهم، واستدرار مواهبهم الشعرية، واستثمار طاقتهم وإحساسهم الفني، فاللوحة الطللية تؤدي " وظيفة خلق هذا الجو الشعري، الذي يمنح الشاعر القدرة علي القول؛ لأنه يصبح في حالة معاناة شعرية حادة، تمده

بالمشاعر التي تمكنه من التنفيس عن كل ما يحتبس في نفسه من الإحساسات، وما يدور في ذهنه من الأفكار والحوادث" (نوري القيسي: 1998)، وهذا يؤكد صدق انفعالاتهم بأثار الديار، فقد عاش الشاعر أوس بن حجر هذه الحياة، وما تحمل من شظف وشدة، وجرب حياة التنقل والارتحال، ولذا كانت تجربته الشعرية، وتصويره صادقا، وانفعاله وجدانيا، وهذا نلاحظه في وصف الأطلال في قوله (أوس: 1996):

حلت تماضر بعدنا ربيا	**	فالغمز فالمرين فالشغبا
حلت شآمية وحل قسا	**	أهلي فكان طلابها نصبا
شبهت آيات بقين لها	**	في الأولين زخارف قشبا
تمشي بها ربد النعام كما	**	تمشي إماءٌ سربلت جببا

يشبه الشاعر بقايا آثار المحبوبة بالزخارف الجديدة القشيبة، ويصف الآثار الباقية من الأطلال، بالآيات الحسان، المتجددة المبتدية في نبات الأرض، فتلك الأماكن وما بقي منها من آثار، فهي تشبه الزخارف القشيبة، أي الجديدة التي لم تندثر، وأن هاتيك المرابع قد سكنها ربد النعام بعد ما كانت عامرة بالمحبوبة. وهنا يتبادر للذهن كيف شبه بقايا الديار وآثارها التي بقيت منها بالزخارف القشيبة؟ والجواب الذي يتبادر للذهن هو أن أوساً شبه بقايا الديار بهذه الصفة (الزخارف القشيبة) ليحتفظ بآثار هذه المحبوبة في ذاكرته، على أجمل هيئة، وأحسن حال، وأيضا يمكن أن يكون رضا لنفسه؛ لتظل المحبوبة غالية في نفسه، فهي باقية في ذاكرته لا تبلى، ولا تندثر. ومن هنا كان الباعث من وراء رسم هذه الصورة التشبيهية، تأنيس النفس، وإبقاء تلك الأماكن وما بقي بها من معالم، وآثار خالدة في النفس بعبق الشوق للمحبوبة، ومتجددة في عين ناظرها، حافرا في ذاكرته أبهى صورة، وأجمل المشاهد.

ويصور الشاعر ربد النعام وهن يتجولن في الديار، بمشي إماء تلبس الجبب، تشبيه بالنساء اللاتي كن يتنزلن تلك الأماكن (الديار). وهنا تظهر براعة الشاعر في التشبيه، فجعل من آثار المحبوبة وبقايا ديارها منظرا جميلا، دائم التجديد والبهاء، وبهذا ألقي عليها الشاعر لمسة جمالية ، فلون صورتها، بصفة الاستمرارية في الحياة، والتجديد حينما جعل – ربد النعام – تمشي بها، مشخصا ومجسدا لها، وبهذا استطاع أن يجعل منها صورة حية شاخصة للمتلقي، وهذا التشكيل للصورة المتجددة، الباعث للحياة على الأمل؛ لتظل هذه الأطلال ماثلة في عهدها الأول. ومن هنا تبدأ الظروف النفسية التي مر بها الشاعر، أو عاش لحظتها لها أثر واضح في تصويره، فهذه الصورة التشبيهية التي رسمها الشاعر لهذه الديار، تظل ذكريات لا تنسى، الأمر الذي دفع الشاعر لتذكر النساء وهن يتجولن في ربوع الديار وتشبيههن بالنعام. وهذا التشبيه في الأبيات السابقة تشبيه مركب؛ لأن المشبه به، عبارة عن صورة مكونة من عدة عناصر، أما سربلت جببا، ووجه الشبه القائم مع ربد النعام والإماء، هو السواد المخطط بالبياض. وهذه الصورة البلاغية تكشف لنا تعلق الشاعر بمحبوبته وانفعال نفسه عند تذكرها أو المرور بديارها.

ونجد العامل النفسي حاضرا في شعر أوس عند مروره بديار المحبوبة، فهو يقول (أوس: 1996):

هل عاجل من متاع الحيِّ منظور	**	أم بيت دومة بعد الإلف مهجور

فالأثر النفسي واضحا على الشاعر، بسبب ما يتركه المكان الخالي من أصحابه.

ومن تشبيهات أوس في الأطلال قوله (أوس: 1996):

كـأن جديـد الـدار يبليك عنهـم	**	تقي اليمين بعد عهدك حالف
بها العين والآرام تــرعى سخالهــا	**	فــطيم ودان للفطام وناصف
وقد سالت عني الوشاة فـخبرت	**	وقد نشرت منها لدى صحائف
كعهدك لا عـهد الشباب يضلني	**	ولا هــرم ممن تـوجه دالــف
وقـــد أنتحي للجهل يوما وتنتحي	**	ظعائن لهو ودهن مساعــــف

يظهر من خلال الأبيات السابقة، أن الشاعر جاء بتشبيهات أخرى للأطلال والمنازل، ولكنه لم يختلف كثيرا عن وصفه السابق. إلا إنها هذه المرة عامرة ببقر الوحش والظباء المتنوعة، وبسخالها ما بين فطيم وناصف. وهذه الصورة التي يعرضها الشاعر في هذه الأبيات، صورة معنوية، لا تدرك إلا من خلال العقل، فالشاعر استطاع تقريب هذه الصورة الحية الماثلة للشاعر عن طريق التشبيه.

فشبه الأرض بالإنسان الذي يحلف، فحذف الإنسان وجاء بشيء من لوازمه، وهي الحلف (اليمين) وهذا المنظر المرسم بهذه اللوحة الفنية، يوحي بالمطابقة للواقع، وذلك من خلال استخدام (كأن) وهي التي توحي وتدل على المطابقة. ومن خلال ما مر من صور، نلاحظ أن اختلاف الصور والمواقف، راجع للحالة النفسية التي يمر بها الشاعر لحظة وقوفه على الديار، وأن هذه الديار تظهر عليها الوحشة بعد خلوها من ساكنها، وهنا يعاني الشاعر من الهم والفراق ولوعة بعد المحبوبة عنه.

الناقة:

لقد اهتم العربي بالناقة اهتماما بالغا، وعني الشعراء الجاهليون بذكرها، فكانت الناقة، هي المحور الرئيسي للشاعر الجاهلي، فكان يعّولُ عليها في نقل أحاسيسه، ومواجعه، وتصوراته، ورؤاه، فتغني بذكر أوصافها، ومكانتها في نفسه؛ وذلك لمكانة الناقة، وكريم عطائها وفضلها. ومن هنا كان لنا أن نرى في تشبهات الناقة عند الشاعر الجاهلي تبادلا للسلوك، وتدخلا، واتحادا في الخصائص، والأحاسيس، واشتراكا في العواطف والانفعالات. فقد حمّل الشاعر الجاهلي ناقته جلّ انفعالاته النفسية، والحسية، فكان يسقط علها كل ما يعانيه في سفره من مشاق فالشاعر العربي يشرف بالناقة، وبطباعها؛ لأنها هي أكثر الحيوانات مرافقة له في صحرائه، وهي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع تحمل الصحراء معه، وهي من توصله إلى مقاصده، وتبلغه إلى مواطن آماله. ومن افتتان العربي بالناقة، أنه كان يزهو بوصفها، ويطيل الفخر بتصويرها، فنجده يشبهها بسائر الحيوانات الوحشية التي يراها في الصحراء، فتخير لها من الصفات أفضلها، ويختار من الصفات الملائمة للإعجاب حتي يسقطها على ناقته. ولقد لقيت الناقة من الشعراء على وجه الخصوص، عناية خاصة، فشغلت حيزا واسعا من أشعارهم، فجاءت صورهم وتشبهاتهم وأوصافهم بأشكال متعددة.

ومن هؤلاء الشعراء، أوس بن حجر، وله كثير من التشبهات في الناقة يمكن أن نرد بعضا منها، حيث يقول في إحدى قصائده، واصافا لنا ناقته (أوس: 1996):

وقد تلاقي بي الحاجات نــاجية	**	وجناء لاحقة الرجلين عيسور
تساقط المشي أفنانا إذا غضبت	**	إذا ألحت على ركبانها الكور
تلقي الجران وتقلولي إذا بركــت	**	كما تسير للنفر المها النــور
كأن هرًا جنيبا تحت غــــرضتها	**	واصطك ديك برجلها وخنزير
كأنها ذووشوم بين مـــأفـــقة	**	والقطقطانة والبرعوم مــــذعور

في الأبيات السابقة، يذكر أوس ناقته، بشيء من الدقة، ومفاخرا بكل صفاتها، ذاكرا كل مناقبها، مقربا للمتلقي، هذه السجايا، مصورا لنا صفاتها في لوحة فنية، ملونا حافاتها بأجمل التشبهات، فوصف لنا ناقته بأنها الناجية، والوجناء، ويشبه حالها بحال المها حينما تنفر، وذلك بجامع السرعة في الانطلاقة، ويواصل رسم ملامح ناقته وتحديد صفاتها، ويذكر حاله عند اقترارها، واستثارتها، وعدم هدوئها، بحال الناقة التي تجفل من هرّ، أو ديك، أو خنزير، فهي بذلك لا تهدأ ولا يقر لها قرار.

وهنا يبعث الشاعر رسالة إلى السامع، أو المتلقي، بأن ناقته ذات مراس، وقوة، وصلابة، وتنحدر من سلالة طيبة. ويقرب ذلك بما حفر لها من صور بلاغية تجذب المتلقي لتتبع أوصافها من خلال التشبيه.

إن المسلك الذي سلكه أوس في تشبيه ناقته بكل الأوصاف التي مرت علينا في الأبيات السابقة، والتي استطاع الشاعر أن يرسم ملامح ناقته بأدق الأوصاف، ويحكم فيها الصناعة الشعرية، وهذا من خلال إحكام الصور للمتلقي وتقريها له، على لون واحد من ألوان البيان، وهو التشبيه ؛ لأن التشبيه ينقل، ويقرب الصورة للمتلقي، ويدخله في عالم الشاعر، والتشبيه أوسع بابا، وهو قادر على استيعاب الخيال العربي، القابع في صحرائه الشاسعة "وإنما يستطرد الشعراء إلى الوصف بالتشبيه الطويل لأن الوصف من أغراض الشعر أمر مقصود لذاته، يراد به الإمتاع، ويراد به إظهار القوة على سحر البيان، ذلك ما تسمو به منزلة صاحبه؛ لأن القوة على سحر البيان، تنبئ عن سر من أسرار الروح الكامنة في صاحها، يرتفع به فوق الألوف من سائر ما عليه منازل الناس" (عبد الله المجذوب: 1989)، وهذا الأسلوب في التشبيه عند أوس ليس بغريب، فهو من باب الصنعة، وإبلاغ النص إلي المتلقي؛ ليعيش مع الشاعر لحظة بلحظة. ومن تشبهاته في الناقة وهي منهكة من كثرة الأسفار، فترسم لنا الأبيات الآتية صورا، تبين لنا حال هذه الناقة مع الشاعر (أوس: 1996):

أضربها الحاجات حتى كأنها	**	أكـــــب عليها جازر متعرق
تضمنتها وهم ركــوب كـــأنها	**	إذا ضـــم جــنبيه المخارم رزدق
على جازع جــوز الفلاة كأنـه	**	إذا مــــا علا نشزا من الأرض مهرق
يوازي من القعقاع مورا كـــــأنـه	**	إذا ما أنتحى للقصد سيح مشقف
كلا طرفيها ينتهي عــند منهل	**	رواء فــــعـــلوي وآخــر مــعــرق
يدف فويق الأرض فـــوتا كـأنه	**	بإعجاله الطرف الحــــديد معلق
وتبري له زعــراء أمـــا انهــارهـــا	**	ففوت وأما حـــين يعيى فتحلق
كأن جهازا مـــا تــميل عليها	**	مقاربة أخصامـــــه فــــهو مشنق

إذا اجهدا شدا حسبت عليهما ** عـــريشا علته النار فـــهـــو يحرق

يصور لنا أوس ناقته، وهي تعاني من الهزال، فيشبهها بناقة أتى عليها جازر (وهو ما يعرف بالقصاب) وذلك مما وصلت إليه من الضمور، والنحول، وكثرة الأسفار والترحال، فلم يبق لها لحم سوى العظم، وهذا نقله إلينا الشاعر بلفظ، (أكب عليها جازر) حتي تبلغنا الصورة، بالغ في الوصف فذكر (متعرق) وهو الذي يصل إلى عظم الناقة، وهذا المشهد الذي يصوره لنا الشاعر، أكثر تصويرا، وتخيلا، ويجعلنا نتصور أن هذا الجازر منكب على هذه الناقة بلا رحمة، أو شفقة، أو هوادة.

وينقلنا الشاعر إلى مشهد آخر، من مشاهد تصوير ناقته، فيصور استقامة سيرها على الطريق الوعر، فيصورها لنا وكأنها تسير على طريق سهل مستقيم، غير ملتوٍ، واضح المعالم، ومن هذه الصورة يريد أن يوصلنا إلى صفة ناقته، وهي تتحمل عنه المشاق التي تعرض لها في طريقه، فهي الشريك الوحيد له في هذه الرحلة، فنحت الشاعر صورة لهذه المعاناة التي يمر بها، من خلال صورة بيانية حية، ينقلها الشاعر عبر تشبيه مركب حسي، يجعل الصورة ماثلة أمام الحواس فيتأثر المتلقي، ويعيش الصدمة، والمعاناة مع الشاعر. رسم أوس سير ناقته، فشبه سرعتها وانسياب سيرها، بانسياب جريان الماء، وهذه الصورة الحسية، تدل على سهولة التعامل مع هذه الناقة، وهنا يظهر تأثر الشاعر بالبيئة المحيطة به. إن أوسا من شعراء الصنعة، وعبيد الشعر، فليس بغريب عليه وضوح شعره، وهذا نلمحه في صوره الجمالية الواردة في الأبيات السابقة، فهو يتتبع الصورة تتبعا دقيقا، فيفصل في الصورة ويجزئها، ثم يعيد تركيبها بشكل دقيق؛ ليصل بصناعته إلى الإتقان، والإصابة للغرض المطلوب الذي يسعى وراءه.

فالحياة الأدبية في العصر الجاهلي "كانت معقدة ملتوية شديد الالتواء، لم تكن على هذا النحو من اليسر والسهولة الذي يجعل الشعراء يصدر عنهم شعرهم صدور الفطرة السليمة، كما يصدر الضوء عن الشمس والشذى عن الزهرة، بل كانوا يتكلفون في شعرهم فنونا من التكلف، إذ كانوا عمالا صُنَّاعًا، يعملون شعرهم عملا، ويصنعونه صناعة، ويتعبون فيها أنفسهم تعبا شديدا". (شوقي ضيف: 1962) وهذا ما نجده مع أوس بن حجر، فهو من شعراء الصنعة البارعين في الصناعة، والإجادة، والإحسان، والمبالغة فيه لبلوغ المعنى، فالدافع الذي يدفع الشعراء إلى إجادة الصناعة - أي صناعة الشعر- هي الحياة الأدبية السائدة في عصرهم، فهي تشجعهم على الإتقان، والتفوق، والإجادة، ولا ننسى أن الذوق العام السائد في تلك الفترة، يدعو الشعراء إلى الإجادة" فهم يمدحون الحذق، والرفق، والتخلص إلى حبات القلوب، وإلى إصابة عيون المعاني. . (الجاحظ: 2001) وهذا نجده في تشبيهات أوس، فهو يصور ويبدع في تلك الصور الجمالية.

من صور أوس التشبيهية في ناقته، مستعرضا لنا قوتها، واصفا لنا مظاهر تلك القوة، وشدة تحملها للصعوبات، بقوله:

ولقد أريت على الهموم بجسرة ** عير انة بالردف غير لجون

شرفية مما تـــوارد مـــنـــهـــلا ** بقرينة أوغير ذات قرين

تأوي إلي ذي جدتين كأنه ** كرّشديد العصب غير منين

أوفى على ركنين فوق مثابة ** عن جُول نازحة الرشاء شطون

ويظهر واضحا، مدى تأثر أوس بالبيئة المحيطة به، فيأخذ منها صور المشابهة. وهذا نلمسه في أغلب صوره، فهو ابن بيئته.

البرق والسحاب والمطر:

الطبيعة ذات دور فعال في بناء النص الشعري، لدي أوس وغيره من الشعراء الجاهليين، وإنتاج دلالاته، وجمالياته، فيتأثر بها، ويؤثر فيها، فيحاول أن يعبر عن ذلك التأثير، فيعبر واصفا تلك المشاهد بدقة بالغة تظهر مدى انسجامه معها، فقد وصف أوس البرق، والسحاب، والمطر في لوحة تعكس ذلك الانسجام والتأثير، فيضفي عليها أوس مجموعة من الأوصاف، تبعث فيها الحركة، وتبث فيها الحياة، ويقف بها عند حدود الوصف، ويضمن ذلك الوصف العديد من الصور والتشبيهات الرائعة، والتي تلفت الانتباه، وبها يعيش المتلقي اللحظة مع الشاعر.

فقد أُعجب النقاد بحسن وصفه للبرق، والسحاب، والمطر، وهي لوحة ترتسم في السماء، محولا تلك اللوحة إلى مفردات، وألفاظ تقرأ في النص الشعري، وكأنها وليدة اللحظة. فذكر ابن قتيبة أنه من أحسن ما سمع في وصف السحاب. ويعلق على تلك الصور الجمالية التي استطاع أوس أن يرسمها للسحاب أبو الفرج الأصفهاني بقوله: " وهو أحسن ما وصف به السحاب". فأوس حين يوظف مفردات الطبيعة، يوظفها بصورة إما متراكمة، وإما كلية، وإما جزئية. فالصورة المتراكمة أن يضم النص مجموعة من عناصر الطبيعة المتلاحقة دون أن يظهر بينها أي رابط، وتنتشر فيه، مسهمه في إنتاج دلالته، ومُشكلة بنياته، من ذلك قول أوس (أوس: 1996):

إني أرقت ولم تأرق معي صاحي ** لمستكف بُعيد النوم لواح

يا من لبـــرق أبيت الليل أرقبه ** في عارض كمضيء الصبح لماح

دان مسف فويق الأرض هيدبه ** يكاد يدفعه من قام بالـــراح

كأن ريقه لما علا شطبا ** أقراب أبلق بنفي الخيل رماح
هبت جنوب بأعلاه ومال بها ** أعجاز مزن يسح الماء دلاح
فالتج أعلاه ثم ارتج أسفله ** وضاق ذرعا بحمل الماء منصاح
كأنما بين أعلاه وأسفله ** ريط منشرة أوضوء مصباح
ينزع جلد الحصى أجش مبترك ** كأنه فاحص أولاعب داحي
فمن بنجوته كمن بمحفلة ** والمستكن كمن يمشي بقرواح
كأن فيه عشارا جلة شرفا ** شعثا لهاميم قد هتمت بإرشاح
هدلا مشافرها بحا حناجرها ** تزجي مر ابيعها في صحصح ضاحي
فأصبح الروض والقيعان ممرعة ** من بين مرتفق منها ومنطاح

لقد استطاع أوس أن ينقلنا إلى عالمه، من خلال صورة بيانية حية، ناطقة، تروي ما حدث أمام ناظر الشاعر، من تفاعل السحب مع الرياح، صورة تكاد تسمع صوت الرعد، وضوء البرق نابضة به حروف كلماته، وهذه اللوحة الجمالية التي رسمها الشاعر في قصيدته (الحائية) نجدها واضحة، كأننا نشاهدها بالعين المجردة، ونتتبع أحداثها خطوة خطوة، وهذا المشهد الرائع على النفس، لأنه مشهد نزول المطر، وهو الذي يتباشر به سكان الصحراء، جعل منه الشاعر تصويرًا حالمًا، وبيانا عاليًا، ساحرًا استمد سحره من الطبيعة الخلابة، ومن اللغة الحية ومفرداتها الموسيقية.

وهذه صورة البرق في قوله (أوس: 1996):

قد نمت وبات البرق يسهرني ** كما استضاء يهوي بمصباح
يا من البرق أبيت الليل أرقبه ** في عارض كمضيء الصبح لماح

فشبه البرق وهو يلمع في الظلمة، بمصباح الهودي، فالمشبه هنا صورة مركبة من عدة عناصر ممتزجة، والمشبه به صورة مركبة كذلك كما في الصورة. وهذه الصورة التشبهية، صادرة من أعماق وجدان الشاعر، فالبرق عنده هو الأمل المرتقب، والمطر هو الحياة، فنور المصباح هو المشبه به مع ضوء البرق، يبعث في النفس الإشراق، والأمل بالحياة الزاهرة، وهنا نلمح الحالة النفسية التي يشعر بها الشاعر وهو يشاهد البرق، تعتريه نشوة بالفرح، فلم يمتلك نفسه، فبدأ البيت بالنداء.

ثم ينتقل لوصف السحاب بقوله:

دان مسف فويق الأرض هيدبه ** يكاد يدفعه من قام بالراح

بعد أن وصف البرق، ينتقل بنا إلى السحاب، فيرسم لنا صورته، وهي صورة عزَّ نظيره، فيصف لنا السحاب وهو شديد الدنو من الأرض، كاد أن يمسه ويدفعه براحة يده، وقد استحسن الشراح وصف أوس للسحاب، إذ قالوا: في قوله يكاد يدفعه من قام بالراح، " هذا السحاب يكاد يمسه من قام ويدفعه براحته، لقربه من الأرض، وهو أحسن ما وصف به السحاب" وهذا يدل على براعة الشاعر في صوغ التشبيه، ليقربه لذهن المتلقي.

فقد رسم لنا أوس صورة السحاب حية رائعة، وربطها بالفعل (يكاد) الذي يدل على المقاربة، وهو فعل مضارع يدل على التجديد، والاستمرارية، وكأن مشهد السحاب لا يزال ماثلا أمام ناظريه.

ولشدة لصوق هذا الوصف بالواقع، فينقل لنا خبرا يدل على سيرورة شعر أوس عند العرب، فيروى أن أعرابيا مكفوفا خرج ومعه ابنة عم له لرعي الغنم. فقال الشيخ: أجد ريح النسيم قد دنا فارفعي رأسك فانظري، فقالت: أراها كأنها ربرب معزى هزلي. قال: ارعي واحذري.. ومضى وقت وفي كل ساعة يقول الأعرابي للمرأة: فارفعي رأسك وانظري، فتصف له ما ترى إلى أن قالت له أخيرا وقد سألها سؤاله الآنف: أراها كما قال الشاعر (أوس: 1996):

دان مسف فويق الأرض هيدبه ** يكاد يدفعه من قام بالراح
كأنما بين أعلاه وأسفله ** ريط منشرة أوضوء مصباح
فمن بنجوته كمن بمحفلة ** والمستكن كمن يمشي بقرواح

فقال: انجي لا أبا لك، فما انقضى كلامه، حتى هطلت السماء عليهما.

وتلك الحكاية تدل دلالة قوية، على قوة تصوير أوس، وحسن اختيار الألفاظ في وصف السحاب الواكف الماطر. ويواصل أوس رسم صوره التشبهية، مصورا بياض البرق حين يضيء السحاب المظلم، بالخيل الأسود المحجل بالبياض، وهذه الصورة التي التقطها الشاعر أثناء لمعان البرق في الظلمة. ثم يصف لنا التفاعل الذي حدث بين السحاب وريح الصبا عندما تلامس السحاب المثقلة بالمياه، فيضع هذه الصورة حاضرة في أذهاننا، نتخيل كل تلك التفاعلات التي تحدث في الجو.

فالشاعر لم يترك أي حدث، ال وقد صوره في أبياته، فيشبه اللون الذي يتوسط ما بين السحاب بالريط المنتشر أو ضوء مصباح بجامع البياض الناصع. ونلاحظ أن الشاعر عدل عن المشبه به الأول إلى الثاني؛ لأنه أوضح في الظهور البياض، وقد جرت العادة في التدرج في الشيء من الأسهل إلى الأصعب، فالزمخشري في الكشاف يوضح ذلك عندما يشرح الصورة في الآية (18-19) من سورة البقرة، " يقول الزمخشري: فإن قلت أي التمثلين أبلغ- أي التمثيل بحال المستوقد نار أو بحال الصيب؟ قلت الثاني: لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته؛ لذلك أخّر، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ". (الزمخشري: 1407) وهذا الذي نجده عند أوس في هذه الصورة. ثم تابع الوصف لتصبح الصورة أوضح حالا إلى المتلقي، فيوضح كيف انهمرت هذه السحب بالماء، ويصور شدة انهماره، بنزع جلد الحصى، وهذا يدل على قوة المطر، ويصف شدة المطر بالأجش، وهنا يرسم صورة من خلال تشبيه المطر، وهو يجرف الأرض بالفاحص أو باللاعب الداحي. فالمشبه هنا صورة مركبة من عدة عناصر، فهذا التركيب يكشف عن حقيقة الموقف الشعوري أو الفني الذي عاناه الشاعر أثناء عملية الإبداع. فالشاعر يكشف جوهر الصورة، ويجعلها قادرة على نقل الحالة الشعورية، أو الخبرة الجمالية التي يسير علها الشاعر. فجاء المشبه واحدا، والمشبه به متعددا، وهذا هو الذي يثري الصورة الجمالية، ويعطها نوعا من الإمتاع. فالشاعر يعطي مساحة واسعة، للخيال، لكي تتسع عملية التصوير، وتكون الصورة محسوسة، تلامس الواقع بكل ما تحمله من معانٍ وصيغ جمالية. فكلما كان المشهد محببا للنفوس، يقرب من الأذهان، ويكثر الكلام فيه.

يشبه الشاعر السحاب الثقال (المحملة بالماء) بالعشار من الإبل في قوله (أوس: 1996):

كأن فيه عشارا جلة شرفا ** شعثا لهاميم قد همت بإرشاح

فالمشبه السحاب، والمشبه به العشار، والجامع بينهما، الخير الوفير القادم، فالعشار المثقلة تحمل بداخلها من الخيرات الشيء الكثير، ويقابلها بالمزن الماطرة، وما تحمله من بشرى خير للعباد، وهذا التشبيه دقيق في الوصف، يخفي بداخله، أو بين طياته الكثير من الصنعة والإبداع " وهذا الضرب من التشبيهات له أثر في نفوس السامعين، وعلقة في القلب بينهما قبل الأذن" ويصف هذا الإمام عبد القاهر يقول: " ولم أرد بقولي أنّ الحذق في إيجاد الائتلاف بين المختلفات في الأجناس، أنك تقدر أن تحدث هناك مشابهة ليس لها أصل في العقل، وإنما المعنى أنّ هناك مشابهات خفية يدق المسلك إليها، فإذا تغلغل فكرك فأدركها فقد استحققت الفضل" (الجرجاني: 1992) ولهذا حاز أوس السبق في رسم هذا النوع من الصور، ومن أسباب تأثير التشبيه في تأليف المختلف " واعلم أنك إن أردت أن تبحث ثانيا حتى تعلم لم وجب أن يكون بعض التشبيه على الذكر أبدا، وبعضه كالغائب عنه، وبعضه كالبعيد عن الحضرة لا ينال إلا بقطع مسافة إليه، وفضل تعطف بالفكر عليه، فإن هاهنا ضربين من العبرة يجب أن تضبطهما. أولا: ترجع الى أم التشبيه، فإنك حينئذ تعلم سرعة بعضه إلى الفكر، من بعض. فإحدى العبارتين: أنّ الجملة أسبق إلى النفوس من التفصيل، وأنك ترى الرؤية نفسها لتصل بالبديهة إلى التفصيل، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة، ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر. ولذلك قالوا: لم يمعن النظر من لم يحسن التأمل" وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس..." (الجرجاني: 1991)

يلعب الإقناع دورا مهما في نجاح الصور التشبهية، ومن هنا وجب على الشاعر أن يسعى لإقناع المتلقي بما اختار من تشبهات، وهذا ملحوظ مع أوس؛ لأنه يمتلك من الخيال والحس، ما يجعله ينجح في إقناعنا بمعظم الصور التي يزخرف بها قصائده، فالصور السابقة قد جسدت لنا طريقة أوس في التصوير وما يستحسن من تشبهات.

الحرب وأدواتها:

ورد ذكر السلاح على لسان أوس في ديوانه كثيرا، والذي يهمنا أن نقف على أهم مواطن الصور والتشبهات في ديوانه، وعرض وتحليل ما بها من شواهد، على إبداعات أوس، وذكر أهم الأوصاف التي تغني بها في وصف السلاح (القوس، الرمح، السيف، والترس..). فكانت الطبيعة وعناصرها الملموسة، ميدانا يستمد منه صوره التشبهية حتى يقرب الصورة إلى ذهن المتلقي، ومن ذلك قوله يصف آلة الحرب، الرمح (أوس: 1996):

وإني امرؤ أعددت للحرب بعدما ** رأيت لها نابا من الشر أعصلا

أصــــم ردينيا كــــأن كــــعوبه ** نوى القسب عراصا مزجا منصلا

عليه كمــصباح العزيـــز يشبه ** لفصح ويحشوه الذبال المفتلا

يفخر الشاعر بنفسه وبشجاعته، وكثرة منازلاته، لأرض المعارك، فيشبه كعوب رمحه في صلابته، وقوته، بنوى القسب، وأن هذا الرمح له بريق ولمعان عند رميه، وله حديدة قوية، وسنان متصل، وهذا التفصيل يظهر براعة الشاعر وخبرته بالسلاح، وأن أجادة تشبيه الرمح، حينما جمع له ستة أوصاف في بيت واحد، لهو كاف على تمكنه من اللغة ومفرداتها، وذو خبرة تمرس في انتقاء السلاح.

فيصور لمعان رمحه، بمصباح العزيز حين يشعل، هذه الصورة تدل على شدة لمعان رمح الشاعر، وقوته. وعلى هذا النحو كانت قوة الصورة التشبيهية، المتلازمة بين المشبه والمشبه به؛ لأنهما يمثلان طرفي الصورة عند الشاعر.

ويصف أوس درعة في قوله (أوس: 1996):

وأملس صــوليا كنــهي قــــراره	**	أحس بقاع نفح ريح فأجفـــــلا
كأن قرون الشمس عند ارتفاعها	**	وقد صادفت طلقا من النجم أعزلا
تـــردد فيه ضـــــوؤها وشعاعها	**	فأحسن وأزين بامرىء أن تسربلا

يصف لنا الشاعر درعه، فيشبه تشبيه فنان أتقن فنه، وقام برسمه وتصويره صورة بديعيه مستوحاة من عناصر الطبيعة، بخيال خصب. فدرعه ذو لون براق، أو موجة متلألئة، فشبه الدرع الصولي، بغدير أضاء ماءه ريح فتعرج وتموج، فنقل اهتزازات الماء بفعل الريح، وشبها بالتعرجات التي على صفيح درعه، وذكر لونه وشبه بلون الغدير الصافي الفضي الذي تعكسه أشعة الشمس، فهو فضي لامع.يصور أوس سيفه بقوله (أوس: 1996):

و أبيض هنديا كـــأن غــراره	**	تـلألـؤ بــرق فـي حبي تـكللا
إذا سل من جفن تأكل أثره	**	على مثل مصحاة اللجين تأكلا
كأن مدب النمل يتبع الربى	**	ومـدرج ذرخاف برا فـــأسهـلا
على صفحتيه من متون جلائه	**	كفى بالذي أبلى و أنعت منصلا

ينقل لنا الشاعر صورة سيفه مشبها بياض متون السيف ببياض لمعان البرق، والجامع بين الصورتين اللمعان، وهذا النوع من التشبيه حسي مركب. ويقرب الصورة للمتلقي، فيصور بياض سيفه، ولمعانه الشديد، ويشبه إناء الفضة في صفائه وبريقه ولمعانه. ويشبه النقوش على متن سيفه، فهي نقوش تشبه النمل حين يصعد للربا المرتفع خوفا من الندى. هذه الصور التي يرسمها الشاعر في قالب تشبيهي، تدل على مقدرة، وتمكن من الصناعة، فهو بمثابة الاستعراض الشعري، ورسم المعاني وصوغها لتكون قريبة من المستمع، وهذه القدرة تبرز لنا أن الشاعر لديه من الثقافة والوعي بعوالم الطبيعة المحيطة به ما يجعله يستثمر ما يراه في الطبيعة، ليخدم به صناعته الشعرية. إن قوة خيال الشاعر، وسرعة البديهة ، تجعل الشاعر يدخل العالم المحيط به، ويتمكن من تشكيل صور بلاغية مؤثرة ذات شهرة واسعة.

إن قوة التصوير تجعل الشاعر قادرا على نقل المشاهد الحية كأنها رأي العين، هذه المشاهد قادرة أيضا بأن تحتفظ بكثير من الصور، والمواقف في ذهن الشاعر – وهذا ما يسمى بالخيال المتذكر- لتساعده على تكوين ابتكار صور جديدة مركبة من الصور المتجمعة في ذهن الشاعر- وهذا ما يسمى بالخيال الابتكاري أو الخلاق- فالشاعر يرسم لنا ما يراه في قالب تشبيهي مشوق، ويعمل على نقل أدق التفاصيل التي شاهدها، ليجعل المتلقي متأثرا بكل ما يسمع، متخيلا لكل المواقف التي يرسمها الشاعر، وشاعرنا استطاع أن يكون واحدا من الشعراء الفحول الذين تغلغلوا في نفوس الناس بحسن السبك، وقوة الكلمة، وتصوير المنظر تصويرا منقطع النظير.

وينتقل الشاعر لتصوير القوس، فيرسم لوحة فنية، يرسم من خلالها كل تفاصيل قوسه فيقول (أوس: 1996):

ومبضوعة من رأس فرع شظية	**	بطود تراه بالسحاب مجللا
على ظهرصفوان كأن متونه	**	عــللن بــدهن يزلق المتنزلا

يطيل الشاعر التصوير مفصلا أوصاف قوسه، فيبدأ في عالم قوسه من منابعه ومنابته إلى أن صار قوسا صالحا للرماية، فكان التشبيه معينا له على نقل كل التفاصيل، ومخلصا من الضجر المميت بسبب إطالة الوصف. ويصور الشاعر رحلة مغامرته في البحث عن القوس العجيب، فقد ذكر أوس كل ملامح قوسه، مارا بجميع مراحل تصنيعه، منذ كان غصنا في رأس شجرة إلى أن صار يكسى بالريش اليماني. وهذا التفاصيل الدقيق للوصف، أعطت الصور التشبيهية المتراكمة صبغة درامية، تمكن الشاعر من خلالها النفاذ من التطويل القاتل للنص الشعري، ومكنته من الوصول للمتلقي بسهولة، وجعلته يصنع من النص قصة ملحمية، تدفع القارئ للوصول للنهاية.

ونجد صورة أخرى، واصفة (للسيف، والدرع، والرمح) في ديوان أوس حيث يقول:

ذا شطبات قده ابن مجدع	**	لـــــه رونـــق ذريـــة يتأكـــل
وأخرج منه القين أثرا كأنه	**	مدب دبا سود سرى وهو مسهل
وبيضاء زغف نثلة سليمة	**	لهـــا رفرف فـــوق الأنامل مرسل

وأشـــــبرنية الهالكي كأنه	**	غديرجرت في متنه الريح سلسل
معي مارن لدن يخلي طريقه	**	ســنان كنبراس التهامي مــــنجل
تقاك بكعب واحــد وتلده	**	يداك إذا مـــــا هزبالكف يعسل
وصفراء من نبع كأنه نذيرها	**	إذا لم تخفضه عن الوحـــش أفكل

وهذا الوصف المتكرر للسلاح في ديوان أوس، يدل على غرام الشاعر وهوايته في إجادة استعمال سلاحه. فصور السيف، والرمح، والدرع، جاءت عبر التشبيهات المركبة. وتكرار هذه الصور وبراعة حبكها، يعطي مؤشرا، بأن الشاعر تمكن من وصف السلاح وتصويره. ويرسم لنا الشاعر صورة جمالية، جاءت بعد وصف السلاح، ووردت هذه الصورة في ذيل القصيدة اللامية فقال (أوس: 1996):

و إنكما يا بني جناب وجدتما	**	كمن دب يستخفي وفي الحلق جلجل

وهذه الصورة جاءت عبر التشبيه التمثيلي، صورة بصورة، وحال بحال، وهذا النوع من التشبيه، اختصر الكثير من الجمل، ورسم لنا الشاعر الصورة المنشودة حية شاخصة، بكل تفاصيلها. وهذا النوع من الصور، افتتن به الإمام عبد القاهر الجرجاني، وذكر جملة من أسباب تأثيرها في النفوس يقول: " واعلم مما اتفق العلماء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، وكساها أبهة، وكساها منقبة، ورفع من قدرها، وشب من نارها، وضاعف من قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا بها، وقسر الطباع على أن تعطها محبة وشغفا" (الجرجاني: 1991) وهذا هو حال تشبيهات أوس، ويحكم صورته التشبيهية، ويفصل فيها تفصيلا، يكاد أن تجزم بأنه لن يسكت عند حد، ثم يتبعه التمثيل المناسب والمقصد تحريك النفوس واستثارتها.

ففي النماذج القادمة، تشبيهات متفرقة من أشعار أوس، ورد في شعر أوس أبيات يهجو فيها قوم بني لبينة فقال (أوس: 1996):

أبني لبينة لستـــــم بيـــد	**	إلا يدا ليست لها عضد
تنفون عن طرق الكرام كما	**	تنفي المطارق ما يلي الفرد

أورد الشاعر الصورة في الأبيات السابقة على سبيل التشبيه البليغ، فحذف الأداة ووجه الشبه، وهذا النوع من التشبيه، يعده النقاد أفضل أنواع التشبيه؛ لأن الشاعر يكشف من خلاله عن ماهية الشعر، ووظيفته الإمتاعية، والعملية، فشبه حالهم بيد فقدت عضدها، وهذا من قبيل الاحتقار لعدم أصالتهم.

ويشبه أوس القتلى في الحرب، بجذوع النخل في قوله (أوس: 1996):

وقتلى كمثل جذوع النخيل	**	تغشاهم مسبل منهمــر
وفي صدورهم مثل جيب الفتا	**	ة تشهق حينا وحينا تهر
و إنّا وإخـو اننـا عـــــــامــــرا	**	على مثل ما بيننا نأتمز
لنا صرخة ثم إســـكاتـــةٌ	**	كما طرّقت بنفاس بكر

يصور لنا الشاعر في الأبيات السابقة مجموعة من الصور، وتأتي كلها عن طريق التشبيه التمثيلي، فيشبه صورة وحال القتلى، بصورة وحال جذوع النخيل. ويرسم لنا صورة مشهد الجرح الغائر في صدر المقاتل، بصورة وحال فتحة جيب الفتاة. وهذا تجسيد للمشهد، وإظهار عظم الطعنة. وهناك صورة ثالثة، يصور لنا القوم وهم يكرون ويفرون في المعركة وهم يرفعون أصواتهم، بحال زفرات الولادة عند المرأة البكر، وهذا التشبيه صورة بصورة، وهذا النوع من التشبيه استجاده النقاد، لما فيه من الطرافة والجدة. فقد علل ذلك قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر، أن أوسا " لم يرد المشبه في هذا الموضع نفس الصوت، وإنما أراد حاله في أزمان مقاطع الصرخات، وإذا نظر في ذلك، وجد السبب الذي وقف فيه ين الصوتين واحدا، وهو مجاهدة المشقة والاستعانة على الألم بالتمديد في الصرخة " (قدامة: د.ت)

ويشبه قوم أم الحصين بقوله (أوس: 1996):

كأن جلود النمرجيبت عليهم	**	إذا جــعجعوا بين الإناخة والحـــبس
لقونا فضموا جانبينا بصـــادق	**	من الطعن حش النارفي الحطب اليبس

شبه الشاعر القوم بالنمور، وذلك كناية عن شدة بأسهم، وهذه الصورة الجمالية التي رسمها الشاعر لتقريب المعنى لذهن المتلقي، فقد ذكر الشاعر هذا التشبيه ليبقى خالدا في ذهنه؛ لعظم ما رأى من شدة القوم، وهذا نجده في قوله: حش النار. . . .

ويشبه الشاعر مصرع القوم بقوله (أوس: 1996):

كـــــأنهم الشميط وصـــارة	**	وجرثم والسؤبان خشب مـــصرعه

لدى كل أخدود يغادرن دارع	**	**يجر كما جـــر الفصيل المقرع**
فما فتئت حتى كأنه غيارها	**	**ســـرادق يــــوم ذي رياح ترفع**
وكنتم كعظم الريم لم يدرجازر	**	**على أي بدأي مقسم اللحم يوضع**

التقط الشاعر صورة للقوم وهم صرعى في أرض المعركة، وشبههم بحال الخشب الملقاة على الأرض على سبيل التشبيه التمثيلي، وصورة المقاتل والخيول تقاذفه بينها وتارة تجره في أرض المعركة، بحال الفصيل المصاب بالبثور، وهو تشبيه قائم بين صورتين، والغرض منه التهكم والسخرية، وصور الغبار الذي أثارته الخيول في أرض المعركة بالسرادق، وهذا تشبيه حسي، وصور المتبقين في أرض المعركة من الخصوم، بحال عظم الرئم بجامع الحيرة في أمرهم. وهذه التشبهات والصور استطاع الشاعر أن يستخدم في كل صورة أداة من أدوات التشبيه التي تناسب الموقف الذي قيلت فيه. وهذا يدل على تمكن الشاعر من صناعة الشعر، وأنه صاحب صنعة، وإجادة في فن الشعر وصناعته. وقد صور تمادي ابن هند في سفك الدماء:

إن كان ظني في ابن هند صادق	**	**لم يحقنوها في السقاء الأوفر**
حتى يلف نخيلهم وزروعهـــم	**	**لهب كناصية الحصان الأشقر**

يشبه الشاعر اللهب التي تحرق بيوتهم، بناصية الحصان الأشقر، ووجه الشبه شدة التوهج والإضاءة، فجاءت الصورة على سبيل التشبيه المقلوب، وبهذا استجاد أبو هلال العسكري هذا التشبيه، وعده من التشبهات البديعة.

وقال أوس في تشبيه أذن الفرس، بورق المرخ (أوس: 1996):

بكل مكان ترى شطبة	**	**مـــولية ربـها مـسبطر**
وأذن لها حـــشرة مشرة	**	**كإعليط مرخ إذا ما صفر**

يصور أذن الفرس وهو يدب بها، بورق المرخ ووجه الشبه الحدة، فورق المرخ مدبب حاد.

وقال في موضع آخر (أوس: 1996):

هجاؤك إلا أن ما كان قد مضى	**	**عليّ كأثواب الحرام المهينم**
بني ومالي دون عــــرضي مُسلم	**	**وقولي كوقع المشرفي المصمم**

وقال: أيضا في ذكر الموت والبلى (أوس: 1996):

ولا محالة من قبر بمحنية	**	**وكفن كسراة الثوروضاح**

وفي هذه الصورة يقرر أوس الحقيقة الأبدية التي لا مفر منها وهي الموت. ويدعم ذلك بقوله: لا محالة، أي من دخول القبر، ومن تداعيات القبر الموت، الذي يبدو اليقين به يقينا حدسيا (جاك شورون: 2000) وسيصحبه الكفن الأبيض، الذي يشبه في بياضه ظهر الثور الأبيض، وإن كان تشابها لونيا، فإن الشاعر يستدعي به الوجه الآخر، لدلالة اللون الأبيض وهي كونه " نذيرا بالعجز والوهن والموت" (إبراهيم محمد علي: 2000) وهنا تظهر براعة الشاعر في إدراك العلاقات الدلالية بين المدركات الحسية، وصياغتها في صورة بلاغية، تكشف ما يحس به الشاعر في نفسه تجاه الصورة. من هنا " لا ينبغي ألا تقتصر الصورة على نقل المحسوسات من الواقع، ولا تقف على مجرد التماثل الحسي بين الأشياء، بل لابد فيها صبغ المحسوسات بألوان الشعور عند الشاعر، وأن ينبع الحس من داخل النفس، ممتزجا بخواطره، ومشاعره" (علي صبح: 1996).

ويقول في موضع آخر (أوس: 1996):

وقد لهوت بمثل الرئم آنسة	**	**تصبي الحليم عروب غير مكلام**

فإننا نجد في هذه الصورة انحرافا عن التشبهات السابقة، فالترتيب الذي سارت عليه العرب في تشبهاتهم، توسط أداة التشبيه إذا كانت بمثل؛ لأن موضعها التوسط بين الطرفين. فأوس انحرف عن هذا الترتيب، إذ يدخل مثلا على المشبه به ويؤخر المشبه في هذه الصورة، فالأصل في الصورة التشبهية أن يقول: لهوت بآنسة مثل الرئم، ولكنه أخر المشبه عن المشبه به، إثارة للاهتمام، والتركيز على المشبه به المقدم.

ويعرض لنا صورة تشبهية أخري فيقول (أوس: 1996):

ودع لميس وداع الصارم اللاحي	**	**إذ فنكت في فساد بعد إصلاح**

رسم الشاعر صورته على سبيل التشبيه البليغ، وهذا النوع بلغت الصورة التشبهية بين طرفها مداها وقد عدها ابن الأثير من محاسن التشبيه في قوله " واعلم أن محاسن التشبيه أن يجيء مصدريا، كقولنا: أقدم إقدام الأسد، وفاض فيض البحر، وهو أحسن ما استعمل في باب التشبيه" (ابن الأثير: د. ت) وهو ما جاء في قول الشاعر، ودع لميس وداع الصارم اللاحي.

الخاتمة

بعد استعراض التشبيه في شعر أوس بن حجر، يمكن القول إن الأسلوب البياني كان ركيزة أساسية في تشكيل صوره الشعرية وإبراز المعاني التي أراد التعبير عنها. فقد تميّزت تشبيهاته بالدقة والوضوح، مستمدة من بيئية المحيطة به التي انعكست في صوره المستوحاة من الطبيعة والحياة اليومية. كما كشفت الدراسة عن تنوع التشبيه في شعره، مما يدل على تمكنه من أدواته البلاغية وقدرته على توظيفها بفاعلية.

ومن خلال التحليل، ظهر أن التشبيه لدى أوس بن حجر لم يكن مجرد أداة زخرفية، بل كان وسيلة لنقل الأفكار والمشاعر، وإضفاء الحيوية على المعاني، ما جعل شعره أكثر تأثيراً ووضوحا. كما أسهمت التشبهات في تجسيد القيم والمبادئ الجاهلية، مثل الفروسية، والشجاعة، والكرم مما يعكس براعته في تصوير واقع عصره بأسلوب جمالي مميز.

وبناء على ما سبق، فإن دراسة التشبيه في شعر أوس بن حجر تُبرز جانبا مهما من أساليبه الفنية، وتفتح المجال لمزيد من الدراسات حول بلا ة الشعر الجاهلي، ومدى تأثيرها على الشعر العرب اللاحق.

المصادروالمراجع

- إبراهيم محمد عبد الرحمن. (2008). *بناء القصيدة عند علي الجارم*. . مصر: دار اليقين للنشر والتوزيع.
- ابن الأثير.(د. ت.). *المثل السائر*. القاهرة: دار نهضة مصر.
- ابن جعفر، قدامة. (د. ت.). *نقد الشعر*. (تحقيق)كمال مصطفى. مكتبة القاهرة.
- الأصفهاني، أبو فرج. (2002). *الأغاني*. بيروت: دار صادر.
- أوس بن حجر. (1967). ديوان (تحقيق وشرح) عمر فاروق الطباع. بيروت: دار الأرقم.
- الجاحظ. (1940). *الحيوان*. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: المجمع العربي الإسلامي.
- الجاحظ. (2001), *البيان والتبين*. تحقيق: درويش جويدي. بيروت. المكتبة العصرية.
- الجرجاني. (1991). *أسرار البلاغة*. القاهرة: دار الكتب للنشر.
- الجرجاني، القاضي. (1966). *الوساطة بين المتنبي وخصومة*. (تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. بيروت: منشورات المكتبة العصرية. .
- الجرجاني، عبد القاهر. (1982). *أسرار البلاغة*. (صححه وعلق على حواشيه) السيد محمد رشيد رضا. بيروت: دار المعرفة.
- الجرجاني، عبد القاهر. (1992). *دلائل الإعجاز*. تعليق محمد رشيد رضا، بيروت: لبنان.
- الحسيني، راشد بن حمد. (2004). *البنى الأسلوبية في النص الشعري - دراسة تطبيقية*. لندن: دار الحكمة.
- الزمخشري. (2007). *تفسير الكشاف*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- شورون، جاك. (2000). *الموت في الفكر الغربي*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- صبح، علي علي. (1996). *البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر*. المكتبة الأزهرية للتراث.
- ضيف، شوقي. (1965). *العصر الجاهلي*. بمصر: دار المعارف.
- ضيف، شوقي.(*د. ت.). في النقد الأدبي*. مصر: دار المعارف.
- القيسي، نوري حمودي. (1998). *الطبيعة في الشعر الجاهلي*. القاهرة: دار الكتب.
- المجدوب، عبد الله الطيب. (1989). *المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها*. الكويت: مطبعة الكويت.
- الهاشمي، أحمد. (د. ت.). *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*. بيروت: دار أحياء التراث العربي.

والله الموفق...